التخْييل عِند السجْلِماسِيّ(ت730ه)
في كتابه
((المَنَزعِ البَديعِ فِي تَجْنِيسِ أَسَاليبِ البَدِيْعِ))
(Imagination when Sijilmassi (d 730 AH)
In his book
((AlmenzaALbadi methods in naturalization))

الكلمة المفتاح: تخييل السجلماسي

The key word: describe imaginary Sijilmassi

د. لَيْلَى سَعْدَ اللهِ نَاجِي

Inst. Layla S. Naji (PH.D)

Abstract:

Thank fully Alovq of right, and peace and blessingson the eloquent of Bald had pronunciation, and Alalan dmates, and yet ...

This study was titled ((imagination when Sijilmassi in his book Almenza Badiin naturalization methods Badi)) serious consideration to standon the imagination land marks when Sijilmassi defined in numerous Tafraath distributed by the (sex and gender), he influenced sophilosophers Arab Muslims as the Son of Sina and Ibn Rushd, as well as influenced byphilosophers Greece Kersto and Plato, and the relationship of imagination him verbally and meaning, poetry, oratory, the Department of Higher sex (imagination) on four types (simile, metaphor, and similar, and metaphor), and shows the influence Greek and Muslim philosophers and clear in the book in terms of philosophical terms ,as well as branch ingand numerous divisions , as well as broad castrh etoric scholars supporters of verbal school likes

Rummani and Abdulomnipotent Jarjaani and others, said the author of the evidence Quranicand prose and poetry in his study of analogy and metaphor and similar, while in (metaphor) was limited corroborating reportson the noodles in dustry; itcounted metaphor of lying, where he had gone to the best hair Okzbh, and the Koran out of the circle lying, Moreover, Sijilmassi gives evidence poetic largest space in the study, while the rhetorical method is less interested in him, where he takes only in terms of fame and persuasion, has been studied Sijilmassi (representation) as aconcept-year-old holistic in clined examples of metaphor as in clined examples analogy, than was the ultimate high light facialaes the ticliterary text, which occurred when representation).

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الدرس البلاغيهنبع ينهل منه كل من يبحث عن الجمال، والابداع والخيال المبتكر، والاختراع، وكتاب (المنزع البديع في تجنيس اساليب البديع) لمحمد القاسم السجلماسي (ت 730ه) من نقاد القرن الثامن الهجري بالمغرب، هو احد المؤلفات التي احدثت ثورة في عالم النقد والبلاغة والفلسفة والمنطق، فالكتاب زاخر بالمصطلحات الفلسفية التي استقاها المؤلف من الفكر اليوناني والفلسفة الإسلامية، فضلاً عن تقسيماته وتفريعاته العديدة والتي تدور حول (الجنس والنوع)، قسّم السجلماسي كتابه (المنزع البديع) على عشرة اجناس، وتناولت في دراستي الجنس الثاني منه وهو (التخييل) وانواعه الاربعة (التشبيه، والمماثلة، والاستعارة، والمجاز)، وشواهده ومصادره التي استقى منها مادته الاساس، وعلاقة التخييل عنده باللفظ والمعنى، والشعر والخطابة.

اعتمدت هذه الدراسة عدداً من المصادر والمراجع وهي جميعاً تشكل القاعدة التي انطلقت منها رؤية البحث نحو كتاب (المنزع البديع) محللة ومعللة القضايا التي اثارها السجلماسي حول جنس (التخييل) ...

ومن الله التوفيق.

التخييل عند البلاغيين:

لقدّ اولى عبد القاهر الجرجانيّ (ت471 أو 474ه) أهمية كبيرة للتخييل في كتابه (أسرار البلاغة) وعرّفه بقوله: ((وجملة الحديث الذي أريده بالتخييل هنا ما يُثبت فيه الشاعر أمراً وهو غير ثابت أصلاً، ويدّعي دعوى لا طريق إلى تحصيلها، ويقول قولاً يخدعُ فيه نفسه ويريها ما لا ترى)) [1]، أمّا الزملكانيّ (ت651هـ) فالتخييل عنده ((هو تصوير حقيقة الشيء حتّى يتوهم أنَّه ذو صورة الشاهد وأنَّه مِمّا يظهر في العيان))[2]، أمّا يحيى بن حمزة العلوي (ت745هـ) فقد قال فيه: ((هو اللفظ الدال بظاهره على معنى والمراد غيره على جهة التصوير)) [3]، وهناك من البلاغيين من عُدّ الاستعارة، والتورية، والايهام من التخييل[4]،فرؤية البلاغيين للتخييل تقوم على إثارة الفِكر، وشحذ الذهن حتى يتصور العقل أموراً يثبتُ فيها الحياة للجمادات أو يوغل في وصف المعقولات حتى يجعلها تحسّ وتتأثر كما الشخوص المرئية، فالدّال والمدلول في الرؤية التخييلية صورتان متقابلتان تشتركان في منح النص الأدبي الملمح الجمالي القائم على توليد المعاني المبتكرة المتضافرة التي هي في حقيقتها ثمرة التخييل عند الكتاب.

التخييل عند السجلماسي

اولا: نظرة الى المؤلف والكاتب

المؤلف: هو ابو محمد القاسم بن محمد بن عبد العزيز السجلماسي ونسبة المؤلف الى (سجلماسة) قد تدل على هذه المدينة العريقة كانت مسقط رأسه، أو مكان نشأته ودراسته، وسجلماسة احد مراكز العلم والعلوم في جنوب المغرب الاقصى، ومنطلقا من منطلقات الحضارة الاسلامية المشعة نحو قلب القارة الافريقية[5]، والسلجماسي في هذا الكتاب شخصية علمية موسوعة فهو فيلسوف بلاغي وناقد لغوي نحوي عروضي اديب وهو واسع الاطلاع على علوم اللغة العربية [6]،وتأثر السجلماسي بالتراث اليوناني، فقد نقل كثيراً من آراء ارسطو عن طريق الفلاسفة المسلمين كالفارابي وابن سينا وابن رشد [7]، وتوفي المؤلف سنة (730هـ)[8]، فنحن أمام عقلية موسوعية في الطرح والتناول والرؤية الموضوعية العلمية للأشياء بتصور العالم الضليع.

وكان قد انتهى سنة(704هـ) من تأليف كتابه المنزع البديع في تجنيس اساليب البديع)).[9]

الكتاب:

ان الدافع الذي حفز المؤلف إلى تأليف هذا الكتاب يعود إلى سببين رئيسين هما:

أ- الوقوف على وجوه إعجاز القرآن الكريم في تنظيمه وتأليفه بدلالة قوله:((الحمدُ لله المُمَتنِّ علينا بشرف النطق، المُسجل لنا من حُسنِ بيانهِ بإحراز فَضْلِ السَّبق الناهج بهذه الصنعة البلاغية والمدكة البيانية الى الوقوف على لطائف معاني تنزيلهُ انهج الطرق الميسر بها على خواص عباده أنموذجاً من معرفة وجه إعجاز نظمه لئافق الخلق، الفائق ببديع بديع مناهج سحرها الالسنة أبدعَ الفتق)).[10]

ب ـــ ان المؤلف يضع منهجا جديداً لصناعة البديع في اطار علم البيان، فالمؤلف يستند الى مقاييس ادبية ونقدية اسهمَ في تحديدها كل من الفلسفة والمنطق والتراث العربي كله، فقد وجد المؤلف أن العرب جاهلين بالقانون العلمي الصحيح لهذه الصناعة والذي ينبغي معرفة عناصره في اطار مناقشة (البلاغة) أو فلسفة ابنية الكلام ودلالاته اللفظية والمعنوية في نسق تنظيري محكم يثبته المنزع كله[11]

يقول السجلماسي في (جنس التخييل) الذي خصّه بالشعر موضحاً الفرق بيه وبين الخطابة مشيراً الى اختلاط مفهوميهما عند العرب ((السبب في ذكر اصحاب علم البيان ومتأدبي العرب هذا الجنس مختلطاً هو أنهم لم يكونوا تميز لهم الاقاويل الشعرية من الاقاويل الخطبية فلم يتبين لهم ما يخص صناعةُ صناعة منهما بل كانت مختلطة عندهم والسبب الاول في ذلك كله هو التباس لئلياتها بموادها ومحسر انتزاعها منها، أو عُور الفحص فيها، بخلاف ما عليه الامر في الصناعة النظرية)).[12]

وحدد السجلماسي موضوعه ومنهجه في مقدمة كتابه بدلالة قوله: ((فقصدنا في هذا الكتاب الملقب بكتاب (المنزع البديع في تجنيس اساليب البديع) احصاء قوانين اساليب المنظوم التي تشتمل عليها الصناعة الموضوعية لعلم البيان واساليب البديع، وتجنيسها في التصنيف، وترتيب اجزاء الصناعة في التأليف من ذلك الفرع، وتحرير تلك القوانين الكلية، وتجريدها من المواد الجزئية))[13]

فالمؤلف لم يلتزم بالتقسيم البلاغي الثلاثي (المعاني والبيان والبديع) فقد جعل فنون الب يإن ضمن مباحث علم البديع، وحدد المؤلف مباحث كتابه في عشرة أجناس إذ قال: ((إنَّ هذه الصناعة الملقبة بعلم البيان وصنعة البلاغة والبديع مشتملة على عشرة اجناس (عالية)، وهي: الايجـــــاز والت خيـــيل، والإشارة، والمبالغـــــــة، والرصف، والمظاهرة، والتوضيح، والاتساع، والاطراء، والتكرير)).[14]

والمنهج العام سار عليه السجلماسي في تحديد المصطلح هو التزامه بعرض جانبه اللغوي. ثم استعمالهِ الجمهوري الشائع، قبل الوقوف على مفهومه الاصطلاحي المحدد نظرياً عنده أولاً، ثم طرح اراء الآخرين عرباً كانوا أم يوناناً، مؤكداً أو رافضاً مع التحليل للجهتين، قبل أن يفصل الصور التطبيقية على أساس النظير، والملاحظ أن السجلماسي كان متأثراً بأرسطو وآرائه في المنطق ، إذ أفاد منها في مباحثه النقدية والبلاغية، ولا سيما كتابه (المقولات) فضلاً عن كتبه الاخرى (الخطابة) و(فن الشعر).[15]

ثانياً: تعريفه لجنس (التخييل)

التخييل: هو الجنس الثاني من الاجناس البديعة، وعرفه بدلالة قوله: ((هذا الجنس من علم البيان يشتمل على اربعة أنواع تشترك فيه ويحملهُ عليها من طريق ما يحملُ المتواطئ على ما تحته، وهي: نوع التشبيه، ونوع الاستعارة، ونوع المماثلة– وقوم يدعونه التمثيل– ونوع المجاز، وهذا الجنس هو موضوع الصناعة الشعرية)).[16]

وقال فيه أيضاً: ان القول المخيّل هو القول المركب من نسبة أو نسب الشيء الى شيء دون اغتراقها[*]. تركيباً ((تذعن له النفس فتنبسط عنه أمور وتنقبض عن أمور من غير رَويَّةٍ وفكر))[17]...))[18]، وقال أيضاً: ((فالقول المخيّل هو محمولٌ يشابه به شيء شيئاً في جوهره المشترك لهما))[19]،ولما كان مصدر التخييل العقل والتفكر فقد خضع مفهوم التخييل لرؤية عقلية تنبع من آراء المدرسة الكلامية.

فالسجلماسيّ عَدَّ (التخييل) من مصطلحات البيان، ودرج تحته أربعة انواع هي: التشبيه، والاستعارة، والمماثلة، والمجاز) وهذا التقسيم لا نجده عند غيره من البلاغيين السابقين له أو اللاحقين به، بل كثيراً من البلاغيين جعلوا المماثلة من التشبيه، والمجاز يشمل الاستعارة بكل انواعها، أمّا التخييل فهو ينبع من هذه المصطلحات.

ثالثاً: تقسيمه.

قسّم المؤلف التخييل (الجنس العالي) على اربعة أنواع:

النوع الاول: التشبيه.

وعرفه السجلماسيّ بقوله: ((التشبيه هو القول المخيّل وجود شيء في شيء، أمّا بأحد ادوات التشبيه الموضوعة له كالكاف وحرف كان أو مثل. وإما على جهة التذييل والتنزيل))[20]، ونوع التشبيه عنده هو جنس متوسط يندرج تحته نوعان:

الاول: التشبيه البسيط: ((وهو القول المخيل المشبّه والممثّل فيه شيء بشيء، اعني ذات معرفة بذات مفردةٍ على الشريطة المتقدمة، أعني أن يمثل شيء بشيء من جهة واحدةٍ أو أكثر فقط دون الإغتراق إمّا بالإدارة، وإمّا بالتنزيل))[21]، ودرج السجلماسي تحت هذا النوع وهو جنس متوسط نوعين آخرين هما:

الأوّل: الجري على المجرى الطبيعي : وهو ((أن يبدأ بما يؤمُّ تخييله وتشبيهه، ثم يردفه بما يؤمُّ تخييلهُ فيه وتشبيهه به إمّا بالأداة وإمّا بالتذييل والتنزيل كما قدّ قيل أوّلاً)) [22]، ومن صوره قوله جلّ ثناؤه: [ولَهُ الجَوَارِ المنشآتُ في البحرِ كالأعلام][23]، وقوله تعالى: [كأنّهُنَّ الياقوتُ والمرجُان].[24]

الثاني:الجري على غير المجرى الطبيعي: وجعله السجلماسي عكس التشبيه ((وذلك أن يؤخذ الشيء الذي يؤَمُّ تشبيهه وتخييل أمٍ فيه فيجعل في الحَمْلِ فقط جزءاً اخيراً من القول، ويؤخذ الامر الذي يُؤمُّ تخييله في الحمل جزءاً أوّل من القول لنوع من قصد الغلو والمبالغة في الوصف، مثل أن تقول: ((الشمس فلانة)) ...))[25]،ونلمس في هذا التنويع للتشبيه على هذين النوعين، أقول: نلمح النزعة العقلية التي تمسك بها المؤلف في بثّ آرائه البلاغية.

النوع الثاني من القسمة الاولى لنوع التشبيه:

التشبيه المركب وعرفه بقوله: ((هو أن يقع التخييل في القول والتشبيه والتمثيل فيه لشيئين بشيئين، وذاتين بذاتين، والمشبه والممثل والمشبه به والممثل به ذواتٌ كثيرة، وذوات المشبه إليه على نسب ذوات المشبه به إليه. واجزاء احدى الجهتين على نسب أجزاء الاخرى [26]، ... ومن صورة قوله

تعالى: [مَثل الذين حُمّلُوا التوراة ثُمَّ لم يحملوهَا كمثل الحِمَارِ يَحْمِلُ أسفارا][27]، فقدّ انماز تشبيه التمثيل بقدرته على الإيحاء، فالمتكلم (جل جلاله) يسرد لنا مشهداً تمثيلياً يقوم على التصوير الفني القائم على التخييل.

النوع الثاني من القسمة الاولى للجنس العالي (التخييل).

الاستعارة: والاستعارة عند السجلماسي هي: ((أن يكون اسم ما دالاً على ذات (معنى) راتباً * عليه دائماً من أول ما وُضِعَ، ثم يُلقّب به الحين بعد الحين شيء آخر لمواصلتهِ للأول بنحو ما من انحاء المواصلة أيَّ ينحو ما من أنحاء المواصلة أيَّ نحو كان، تخييلاً لذات المعنى الاول الموضوع عليه الاسم في الشيء الثاني الملقب به حين اللقب، واستفزازاً، من غير أن يجعل راتباً للثاني دالاً على ذاته... كقوله تعالى: [واخفِض لَهُما جَناح الذّلِّ منْ الرّحْمَةِ][28]...)).[29]

النوع الثالث من القسمة الاولى للجنس العالي (التخييل).

المماثلة وهي المدعوة ايضاً (التمثيل): وقال السجلماسي فيه: ((وذلك أن يقصد الدلالة على معنى فيضع الفاظاً تدلّ على معنى آخر، ذلك المعنى بألفاظه مثال للمعنى الذي قصد الدلالة عليه، فمن قبلِ ذلك كان له في النفس حلاوة ومزيد إلذاذ لأنّه داخل بوجه ما في نوع الكناية من جنس الإثارة، والكنايةُ ابداَ احلى موقعاَ من التصريح ... ومن صورها قوله عز وجل:[وثِيابكَ فَطَهر][30]...)).[31]

النوع الرابع من القسمة الاولى للجنس العالي (التخييل) هو المجاز: وقال فيه((هو القول المستفزُّ المتيقن كذبه، المركب من عبارات مخترعة تَخَيّلُ اموراً وتُحاكي اقوالاً))[32]

رابعا: شواهده:

الشاهد هو: ((عبارة عمّا كان حاضراً في قلب الانسان وغلب عليه ذكره، فإن كان الغالب عليه الوجه فهو شاهد الوجه، وإن كان الغالب عليه الحق فهو شاهد الحق)) [33]، وهو كل ما يذكرُ لإثبات قاعدة من القواعد البلاغية او النحوية او الصرفية، او النقدية، أو تغيير رأي عالم من العلماء مثل الآيات القرآنية، والاحاديث النبوية الشريفة، الشعر والنثر.[34]

ولقد استقى السجلماسي شواهده من القرآن الكريم والنثر والشعر في دراسته لأنواع (التشبيه، الاستعارة والمماثلة)، مع التحليل ين العلمي والمنطقي الذي ينمُّ عن ثقافةٍ واسعة، ففي درسه لجنس (المماثلة) استشهد بقوله تعالى: [وثِيابكَ فَطَهر][35]، واراد به نفسك، أي طهّر نفسك [36]، وقدّ عدَّ بعض البلاغيين هذا التعبير من الكناية القائمة على ترسيخ صفة الطهر لدى المأمور (عليه الصلاة والسلام) مع مزية الإيحاء الثّرة التي عبّر عنها البلاغيون أنّها كناية عن نسبه[*]

وقال في جنس (التشبيه) في نوع التشبيه البسيط (الجري على غير المجرى الطبيعي)، استشهد قول الشاعر[37]:

كأن سبيئة من بيـــــــــــت رأس يكون مزاجها عسلٌ وماء

على أثيابها أو طعم غضمن التفاح هصره اجتناء

وعلّق عليه بقوله: ((فإنَّ العرض في هذا الشعر –على القصد الاول– تشبيه ريق هذه الموصوفة بالسبيئة، وتخييل السّبيئة فيه، فعكس الامر غلّواً ومبالغة في الحمل فقط، اعني أن هذا العرض باقٍ قائم في نفس الشاعر، إلا أنّه قلب ذلك في مجرد الحمل دون قلب الامر بمعنى نفسه)).[38]

وفي نوع (التشبيه المركب) استشهد بقول بشار بن برد[39]:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وَأَسْيَافنا ليلٌ تهاوى كواكبهُ

وعلق عليه بقوله: ((فالمشبه والممثّل فيه، هو النقع واسيافه ووقعها، والمشبه به هو الليل وكواكبه وهويَّها، وإجراء المشبه إليه على نسبة اجراء المشبه به إليه، وانتظم التشبيه بمناظرة إحدى الجهتين بالأخرى)).[40]

ومن شواهده النثرية الاخرى التي عزز بها دراسته كجنس ((التخييل))قوله في نوع التشبيه (الذي يجري المجرى الطبيعي): ((ليلةٌ كغراب الشباب، وحَدَق الحِسان، وذوائب العذارى)).[41]

وفي جنس المماثلة قال: وفي الخبر أنْ يزيد بن الوليد بَلَغَهُ أنّ مروان بن محمد يتلكأ عن بيعته : ((أما بعد فإنني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فأعتمد على ايهما شئت)) [42]، وكتب الحجاج إلى المهلب:

((فإن انت فعلت ذلك وإلّا أشرعت إليك الرمح، فإجابه المهلب: فان اشرع الامير الرمح قلبت له ظهر المِجَنّ))[43]،فالتمثيل مفهوم عام لدى السجلماسي يقع في أمثلة الاستعارة كما التشبيه دون الفصل بينهما.

أما في جنس (المجاز) فلم يورد فيه السجلماسي إلا شواهد شعرية فقد قصر المجاز على الصناعة الشعرية، وعلل ذلك بقوله: ((ولما كانت المقدمة الشعرية إنما تأخذها من حيث التخييل والاستفزاز فقط كما تقدم لنا من قبل، وكان القول المخترع المتيقن كذبهُ اعظم تخيلاً وأكثر استفزازاً، و إلذاذاً للنفس من قِبَل أنّهُ كلما كانت مقدمة القول الشعرية أكذبُ كانت أعظم تخيلاً واستفزازاً... لمزيد الغرابة لطراءته ولولوع النفس بذلك كان أذهب في معناه وأقعدَ)).[44]

فالسجلماسي جعل المجاز من الكذب؛ لذلك لا يستشهد بآيات من القرآن الكريم فهو لا يورد إلّا شواهد شعرية ومن شواهده الشعرية في المجاز قول ابن خفاجة[45]:

والشمس تجنح للغروب مريضةٌ والرعد يرقى، والغمامة تنفث

ومنه قول ابن المعتز في صنعة الهلال[46]:

وبدا الهلال كزورق من فضة قد اثقلته حمولة من عنبـــــــرِ.

خامساً: مصادره.

قد افاد السجلماسي في دراسته لجنس (التخييل) من مصادر كثيرة وله في ذكرها وجهان:

الاول: بذكر اسم المؤلف او الكتاب الذي استقى منه مادته، ففي جنس (المماثلة) ذكر قوله تعالى: [فـمـا أصبرهم عـلـى الـنـا ر][47]، وعلق عليه قائلاً: ((قال القاضي ابو بكر (رحمه الله) ((وهو من صور المماثلة))...)) [48]، فقد أشار هذا أيث ابو بكر الباقلاني (ت 403هـ) في كتابه (أعجاز القرآن).[49]

الثاني : لا يذكر اسم المؤلف أو الكتاب ويكتفي بعبارة (قال قوم)من ذلك في دراسة لجنس التشبيه قوله: ((قال قوم: ((التشبيه هو صنعة الشيء بما قاربهُ وشاكله، من جهة واحدة او من جهات كثيرة لا

من جميع جهاته، لأنّه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه))...)) [50]، فأشار هنا إلى رأي ابن رشيق القيرواني (ت654هـ) في كتابه (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده) [51]، وذكر في الجنس نفسه: ((وقال قوم ((والعقد على اَنّ احد الشيئين يَسدّ مسدّ الأخر في جنسٍ أو عقلٍ))...)).[52]

فقد أشار هنا إلى رأي الرماني (ت384هـ) في كتابه (النكت في إعجاز القرآن الكريم).[53]

مما يدلُّ على تأثره بالمتقدمين من أنصار المدرسة الكلامية الذين ضمّنوا آراءَهم الشيء الكثير من المنطق والفلسفة.

علاقة التخييل بالشعر والخطابة:

كانت نظرة السجلماسي للحد الشعري تبحث عن خصوصيتها، فهو يجري وراء (الشعر) في حدوده ودلالاته الفنية والنفسية، ثم علاقته بالخطابة وحدّها أيضاً في لقائها أو انفصالها عنه.

ففي ذلك قال السجلماسي في جنس التخييل: ((وهذا الجنس هو موضوع الصناعة الشعرية، وموضوع الصناعة في الجملة هو الشيء الذي فيه تنظر وعن أغراضه الذاتية يبحث، إذ كان الشعر هو الكلام المخيّل المؤلف من أقوال موزونة متساوية.

وعند العرب مقفاة: فمعنى كونها موزونة: أن يكون لها عدد إيقاعي، ومعنى كونها متساوية هو أن يكون كل قول منها مؤلفاً من أقوال ايقاعية، فإن عدد زمانه مساوٍ لعدد زمان الآخر، ومعنى مقفاة هو أن تكون الحروف التي يختم بها كل منها واحد...

وكل معنى من هذه المعاني فله صناعة تنظر فيه إمّا بالتجزئة وإمّا بالكلية، ولأن التخييل هو جوهريته المشترك للجميع ينبغي أن يكون موضوعها ومحل نظرها... إذ كان ذلك هو التعليم المنتظم... لكن الشبب في ذكر اصحاب علم البيان ومتآربي العرب هذا الجنس مختلطاً هو أنهم لم يكونوا تميزت لهم الأقاويل الشعرية من الأقاويل الخطية، فلم يتبين لهم ما يخصّ صناعة منهما بل كانت مختلطة عندهم، والسبب الأول في ذلك كله هو التباس كلياتها بمحاورها وعسر انتزاعها منها، وغور الحفص فيها، بخلاف ما عليه الامر في الصناعة النظرية))[54]، ويلاحظ تركيز السجلماسي على القول الشعري أمّا الخطابة فيتحدث عنها عرضاً.

والسجلماسي قدّ تجاوز قضية الصدق والكذب في الشعر إلى الايمان بالتخييل كمصدر وحي والهام ((إذ كانت القضية الشعرية إنّما تؤخذ من حيث هي مخيلة فقط))[55]، ((كأخذ القضية الجدلية أو الخطية من حيث الشهرة والاقناع فقط)).[56]

وحدد المؤلف عناصر القول الجميل عموماً والقول الشعري بالخصوص، فالجمال الفني يكمن في القول المستفز، المتيقن كذبه، المركب من مقدمات مخترعة، والذي يحمل دلالات توحي بتخييل أمور، ومحاكاة أقوال، ذلك أنّه ((لما كانت مقدمة القول الشعري انما تأخذها من حيث التخييل والاستفزاز فقط... وكان القول المختَرعُ المتيقن كذبه أعظم تخييلاً وأكثر استفزازاً وإلذاذاً للنفس... كان اذهب في معناه)).[57]

ويلاحظ على السجلماسي أنّه يعطي عناصر الاسلوب الخطابي حيزاً بسيطاً في التخييل ثم يكتفي بتوزيعها في سياق المباحث الاخرى، وعلى العموم فهي تتمثل عنده من خصائص تلتقي فيها مع القول الشعري ولكنها تمتاز بأخذ قضيتها من حيث الشهرة والإقناع، رغم تلاقيها مع الشعر في التخييل وعدم وجوب عنصر الصدق في القول في الخطابة أيضاً، وامتياز الشعر بصفات أخرى تنبعث من روحه وبنائه الخاص.[58]

علاقة التخييل باللفظ والمعنى:

كان النقاد القدماء يفضلون اللفظ على المعنى، أو المعنى على اللفظ في دراساتهم، وهذا لا يعني أن اللفظ والمعنى منفصلان في وجودهما الخارجي، بمعنى أن لكل واحد منهما وجوداً مستقلاً عن الآخر ولكنهم اضطروا الى ذلك الفصل لغايات تعليمية حتى يفرد اللفظ بنعوته الذاتية التي يُفضل بها غيره من الالفاظ التي قدّ تُستعمل في معناه ويفرد لذلك المعنى الذي يصوره الاديب بصفاته التي يمتاز بها عن غيره من معاني الآخرين))[59]، فالسجلماسي يذهب الى تقرير المعاني في النفس، أي يوضح تصورها في الذهن قبل الاندفاع إلى التعبير عنها ((فقدماً جرت العادة في الصناعة النظرية بالوصية للناظر والتحذير له أن يلهج بالألفاظ، ويقف تصوره عليها، وبأن يتقدم أولاً فيقرر المعاني في نفسه ويتصورها أتمّ تصور ثم يطبق عليها الألفاظ))[60]، ولعل السجلماسي هنا كان متأثراً بنظرية النّظم عند عبد القاهر الجرجاني، إذ قال فيها: ((أمر النّظم في أنّه ليس شيئاً غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم، وإنّك ترتب المعاني أولاً في نفسك ثم تحدو على ترتيبها الألفاظ في نطقها)).[61]

الخاتمة

وفي ختام دراستي هذه توصلت إلى عِدّة استنتاجات أحصرها في النقاط الآتية:-

1. قسّم السجلماسي كتابه (المنزع البديع) على عشرة اجناس هي (لإيجاز،والتخييل،والإشارة،والمبالغة،والوصف،والمظاهرة،والتوضيح،والاتساع،والإنشاء، والتكرير).
2. قسّم الجنس العالي (التخييل) على اربعة انواع (التشبيه،والاستعارة، والمماثلة والمجاز).
3. يظهر التأثير اليوناني والفلاسفة المسلمين واضحاً في كتابه من حيث المصطلحات الفلسفية، فضلاً عن التفريعات والتقسيمات العديدة ، وكذلك ما بثّه علماء البلاغة من انصار المدرسة الكلامية أمثال الرماني وعبد القاهر وغيرهما.
4. افاد من الشواهد القرآنية والنثر والشعر في دراسته لأنواع (التشبيه والاستعارة والمماثلة)، اما في دراسة (المجاز) فقد اقتصر على الصناعة الشعرية، لأنّه عَدّه من الكذب، وذهب إلى أنّ أحسن الشعر أكذبهُ، فلم يورد شواهد قرآنية حتى يخرجها من دائرة الكذب.
5. تارة يصرح باسم المؤلف والكتاب الذي أفاد منهُ، وتارة لا يصرّح ويكتفي بعبارة (وقال قوم)، وربما خرج هذا التنكير إلى مقابلة الرؤيتين البلاغيتين لغرض الموازنة بينهما لدى القارئ.
6. وظف السجلماسي ثقافته الواسعة في تحليله البلاغي والنقدي لنصوصه.
7. يورد آراء العلماء مع المناقشة العلمية الدقيقة.
8. يعطي السجلماسي للقول الشعري حيزاً أكبر في التخييل من الاسلوب الخطابي، فيؤخذ الشعر عنده من حيث هو مخيلة فقط، أمّا الخطابة فتؤخذ من حيث الشهرة والاقناع.
9. تأثر السجلماسي بنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، من حيث ترتيب المعاني في النفس أولاً ثم يطبق عليها الألفاظ التي تناسبها.
10. درس السجلماسي مفهوم التمثيل بوصفه مفهوماً عاماً شمولياً يتوارد في أمثلة الاستعارة كما يتوارد في أمثلة التشبيه على حدّ سواء، وكانت غايته الاسمى إبراز الوجه الجمالي للنص الادبي الذي وقع فيه التمثيل.

الهوامش:

1. اسرار البلاغة: 253.
2. التبيان في علم البيان: 178.
3. الطراز: 400.
4. ينظر: حسن التوسل الى صناعة الترسل: 249؛ ونهاية الادب في فنون الادب: 131/7؛ والبرهان في علوم القرآن: 445/3.
5. ينظر: ينظر المنزع البديع:13-14.
6. ينظر المصدر نفسه:53-54.
7. للمزيد ينظر المدرسة البديعية المغربية بين التأثير العربي المشرقي والتأثير اليوناني ، مصطفى صالح العاني ، اطروحة دكتوراه، جامعة الانبار , التربية,2009.
8. ينظر: الاثر الارسطي في النقد والبلاغة العربيين,710.
9. ينظر: المنزع البديع:13.
10. ينظر: المصدر نفسه:179.
11. ينظر: المصدر نفسه:104.
12. المصدر نفسه:219.
13. المصدر نفسه:189.
14. المنزع البديع:180.
15. ينظر: المدرسة البديعة المغربية بين التأثير العربي المشرقي والتأثير اليوناني:104.
16. المنزع البديع:218.

- اغتراقها: استيعابها، ينظر: لسان العرب، مادة (غَرَقَ).

17. فن الشعر: 161.
18. المنزع البديع:219.
19. المصدر نفسه:220.
20. المصدر نفسه:220.
21. المصدر نفسه:221.
22. المنزع البديع:227- 228.
23. سورة الرحمن: الآية 24.
24. سورة الرحمن: الآية 58.

25. المنزع البديع:180.
26. المصدر نفسه:229- 230.
27. سورة الجمعة: الآية 5.
- راتباً: مثبتاً، ينظر: اساس البلاغة، مادة (رَتَبَ).
28. سورة الاسراء: الآية 24.
29. المنزع البديع: 235.
30. سورة المدثر: الآية 4.
31. المنزع البديع:244.
32. المصدر نفسه:252.
33. التعريفات:72.
34. ينظر : الرواية والاستسهال في اللغة العربية:112؛ معجم المصطلحات النحوية والصرفية:119؛ مفهوم الشاهد واهميته, عبد الحافظ:259.
35. سورة المدثر: الآية 4.

* . ينظر: من كتب البلاغة- في المصادر.

36. ينظر: المنزع البديع: 245.
37. المصدر نفسه: 228.
38. المصدر نفسه والصفحة نفسها.
39. ديوانه: 46.
40. المنزع البديع: 231.
41. المصدر نفسه :227.
42. المصدر نفسه:245-246.
43. المصدر نفسه:246.
44. المصدر نفسه: 252.
45. ديوانه: 285؛ المنزع البديع:254.
46. ديوانه: 247؛المنزع البديع: 261.
47. سورة القرة: الآية:175.
48. المنزع البديع:245
49. ينظر : أعجاز القرآن:119.
50. المنزع البديع:221.

51. ينظر: العمدة :286/1.
52. المنزع البديع:221.
53. ينظر: النكت في إعجاز القرآن الكريم:74.
54. المنزع البديع: 218-219.
55. المصدر نفسه:220.
56. المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
57. المصدر نفسه: 252.
58. ينظر: المصدر نفسه: 125.
59. نظر: قضايا النقد الادبي: 146.
60. المنزع البديع:249
61. دلائل الاعجاز: 288.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

أولًا: الكتب:

- الاثر الارسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري، د. عباس ارحيلة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1999م.
- أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، القاهرة، ط1، 1953م.
- اسرار البلاغة، عبد القا ەر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شكر، مطبعة المدني، مصر،ط 1، 1412ه-199
- إعجاز القرآن، ابو بكر الباقلاني، تحقيق: أحمد الظفر، دار المعارف، مص، 1963م.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد ابو الف ضل ابراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1427هـ- 2006م.
- التبيان في علوم البيان المطلع على إعجاز القرآن، عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني، تحقيق: د. أحمد مطلوب، و د. خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1964م.
- حسن التوسل إلى صناعة الترسل، شهاب الدين محمود الحلبي، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد، بغداد، 1400هـ-0 1980م.
- دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م.
- ديوان ابن خفاجة الاندلسي، حرره: مصطفى سلامة النجاري، المطبعة الخاصة بجمعية المعارف المصرية، 1286هـ.
- ديوان ابن المعتز، شرح: ميشيل نعمان، المطبعة التعاونية اللبنانية، بيروت، 1969م.
- ديوان بشار بن برد، تحقيق: بدر الدين العلوي، دار الثقافة ، بيروت،1963م.
- الرواية والاستشهاد في اللغة، د. محمد عبيد، مطبعة دار نشر الثقافة، القاهرؤة1976م.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للإمام يحيى بن حمزة العلوي، مراجعة وتدقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ، 1415هـ-1995م.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1401هـ -1981م.
- فن الشعر، ارسطو طاليس، تحقيق: د. عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1953م.
- قضايا النقد الادبي، بدوي طبانة، دار المريخ للنشر، الرياض، ط1، 1984م.
- لسان العرب، ابن منظور الافريقي، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- معجم المصطلحات النحوية والصرفية. د. سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، بيروت، ط1، 1985م.
- المنزع البديع في تجنيس اساليب البديع، محمد القاسم الانصاري السجلماسي، تقديم وتحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، ط1، 1980م.
- النكت في إعجاز القرآن، الرماني ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله احمد، و د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط5، 2008م.
- نهاية الأرب في فنون الادب، احمد بن عبد الوهاب النويري، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د.ت).

ثانيًا: البحوث

- مفهوم الشاهد وأهميته عند الجاحظ، د.عبد الرحيم الرحموني، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس ، العدد الرابع لسنة 1988م.

ثالثًا: الرسائل الجامعية:

- المدرسة البديعية المغربية بين التأثير العربي المشرقي والتأثير اليوناني، مصطفى صالح علي، أطروحة دكتوراه، جامعة الانبار- كلية التربية،2009م.

التخْييل عِند السجْلِماسِيّ(ت730ه) في كتابه ((المَنَزعِ البَديعِ فِي تَجْنِيسِ أَسَاليبِ البَديْعِ))

د. لَيْلَى سَعْدَ اللهِ نَاجِي

الملخص:

الحمدُ لله الوفق للصواب، والصلاة والسلام على افصح من نطق بالضاد، وعلى الآل والاصحاب وبعد...

فقدّ جاءت دراستنا هذه بعنوان ((التخييل عند السجلماسي في كتابه المنزع البديع في تجنيس اساليب البديع)) دراسة جادة في الوقوف على معالم التخييل عند السجلماسي في تعريفه وتفريعاته العديدة التي وزعها بين (الجنس والنوع)، وهو متأثر بذلك بالفلاسفة العرب المسلمين كأبن سينا وأبن رشد، فضلاً عن تأثره بالفلاسفة اليونان كأرسطو وافلاطون، وعلاقة التخييل عنده باللفظ والمعنى، والشعر والخطابة ، فقد قسم الجنس العالي (التخييل) على أربعةِ أنواع (التشبيه، والاستعارة، والمُماثلة، والمجاز)، ويظهر التأثير اليونانيّ والفلاسفة المسلمين واضحًا في كتابه من حيث المصطلحات الفلسفيّة، فضلًا عن التفريعات والتقسيمات العديدة، وكذلك ما بثّه علماء البلاغة من أنصار المدرسة الكلاميّة أمثال الرمّانيّ وعبد القاهر الجرجانيّ وغيرهما، وأفاد المؤلّف من الشواهد القرآنيّة والنثر والشعر في دراسته للتشبيه والاستعارة والمماثلة، أمّا في (المجاز) فقد اقتصرت شواهده على الصناعة الشعريّة؛ لأنّه عدّ المجاز من الكذب، حيث ذهب إلى أنّ أحسنَ الشعر أكذبه، والقرآن الكريم يخرج من دائرة الكذب، فضلًا عن ذلك فإنّ السجلماسيّ يعطي للشواهد الشعريّة حيّزًا أكبر في دراسته، أمّا الأسلوب الخطابيّ فهو أقلّ اهتمامًا عنده، حيث يأخذ

فقط من حيث الشهرة والاقناع، وقد درس السجلماسيّ (التمثيل) بوصفهِ مفهومًا عامًا شموليًا يتوارد في أمثلة الاستعارة كما يتوارد في أمثلة التشبيه، وكانت غايته الأسمى ابراز الوجه الجماليّ للنص الأدبيّ الذي وقع فيه التمثيل.